

قرارك بيديك يا مبدع

خمسة آلاف صورة كفيلة أن تحبّي أرواح الموتى، وصيّار العقول الوعائية.. عبر استنطاقيها ونشرها بين زغرب الحمام الزاجل في وسائل التواصل الاجتماعي بين الحين والآخر!

من هنا ظن البعض بأن المصور من الترف الوجودي تجاه غيره، "وعزّه" آخر بأنها تجوب لاستجداء المخيّلة! فواعجبني هذا وذاك، وكيف يحكمون؟

فقد حاكت أرجلهم خلاخل أفواههم.. كالذى يجب على مقاعد المقاھي السريعة، لتصوير أغلفة بعض الكتب المترجمة المعروضة (بالتنزيلات والبصمات) بين يده وفنجان القهوة وقطعة الشکولاتة الفاخرة.. ليوحى بالهوس بأنه (تراني مثقف)!

ويزجها بالحين في صوامع المعمورة عبر (سنابه)، وكأن لسان حاله يقول: (تراني مثقف غصب طيب)!

فالثقافة يا حبيب الجوار، إنسانية وشعور، قبل أن تردّها وترتّب بها.. والثقافة يا عزيز المزار إن لم تحدث فيك رعشة الدمعة الوجданية، وآهة النبضة الروحانية من شعاف قلبك إلى شرايينك وأوردتك بالدهشة لا خير فيها.. فكم من يتغنى بالأوتار ولا يحسن عزف مصادق القرار والاختيار للدهشة!

نعم، أنت هذه الفكرة — أي نشر الصور — قبل سبع سنوات على وجه التحديد، ساعة اتصالي في أربعة من أهل (الخبرة بالتصوير)، (والأرشفة بالتقدير)، (وأعلام التوثيق، والاحتراف، والتعليم، والتأثير) على النحو التالي، وبالعلامات الاستفهامية والتعجبية من قبلي لهم:

— يثير تعجبي منكم حيث تشاركون بالمحافل الاجتماعية، وطلابكم في فصولهم، والمسرح، والكتافة، والمسابقات الاحترافية.. وتفرحون بتوثيق سيركم بكلمات معدودة وصور مختزلة تقاد لا تزيد عن أصايع اليد الواحدة بالمهرجانات التي تشاركون بها.. فلماذا لا توثّقون مخزونكم من تلك الصور عبر ألبوم يخصّكم، وتحت أسمكم على بند السير لحفظ الحقوق؟!

— يثير تعجبي من يلتقط الصور ويخرّنها.. عبر المخازن الطويلة والعربيّة.. (بالكمبيوترات)، (والهاردسكّات)، (والفلاشات).. وساعة ما تحرق أو تتعرّض هذه المخازن يأتيك يوزع الويّلات والحسّارات

... ويأتي من يسكن بالضفة الأخرى، وينسبها لنفسه، ويزيد الطين بلة لقوارع وأحوال الوجع على نفس صاحبها !!

— يثير تعجبي من يحمل (كاميرته) في كل مكان يحل به.. سواء كان بالفصل والعمل والبر والبحر.. وشغل شاغلته التصوير والفالشات.. ولا يكلف نفسه بإظهارها وتوثيقها وحمايتها من الصياع والتلف.. تحت شعاره بالموقع التي تضمن حقه بالحفظ والموثوقية والدقة.. حتى جعل كل من يمر به يسيره، (ويسلك له) باسم النصيحة، ومدعيعها.. وناصحه هذار لا يدرك طريق قيادة الدرجات الهوائية البتة في (البراحة) !

— يثير تعجبي من يمتلك القدرة المالية، والصور الاحترافية، والقفشات الاجتماعية، والكلمات النثرية، والأبيات الشعرية، والمجموعات القصصية والرواية.. يجعل الأفواه الأخرى تسيره، ويطن هذا المسكين بأنهم أهل الدراية والسبق.. والحقيقة أنهم يمارسون حوله وفوقه أمراضهم التي صنعوا معهم من سبدهم فعاشوا رواية التواتر بالقول والفعل فواعجبني.. بالوصاية المفلحة، وبأسماءٍ شتى بالتخويف والتبليط.. ولا أحد يعلم إلى الآن من أوسمتهم بالأفضلية عليك.. فاطبع نتاجك بالحياة فهي تتسع للجميع، واجعل الزمان والألباب تنصفك، وأدر ظهرك، فستصبح عملة بالمجموعات والأمكنة بإذن الله!

— يثير تعجبي من يعيش بسعادة، وكل نواطره للوراء.. فيا حبي وحبيبي: اجعل من الرمح الذي يطعنك من الخلف يدفعك للأمام بإيجاد اسمك وصناعة رسمك!

فهلرأيت قسوة حديثي هذا ليس لأجلك فقط .. فلربما قد كبرت، ولربما قد سيحت عقلك وفكك لغيرك..
فما ذنب خبرتك أن تجعلها بين الأغلال؛ فأولادك يفخرون بك، وبناتك يطالعونك، وأحفادك يستمعونك..
فلولا نتاجك لم تعرف الأطلال!

واعرف وتدبر بأن نتاجك هذا المتأخر لعمرك ومسيرتك، سيختصر لهم الطريق بالنسبة لبداياتهم لأنك قدوتهم وبيرقهم..

ذكرتوني بزوجة عمي عبد الله بن موسى القرین (أم أحمد فخرية البن صالح الماغة رحمة الله عليها)، قبل عشر سنوات، حينما زرناها بحي النزهة في منطقة المبرز بالحساء، وأعطتنا مجموعة من صوري مع إخوانه وأخواته، وحينما أرجعتهم إليها بعد مدة قالت بلهجتها ونبرتها الأحسائية (رحمها الله): "يكفي أني حفظتهم لكم ثلا وثلاثين سنة، وبعد عمر طويل بنموت، وعيالي ما راح يعرفونكم، وراح يلوحونها" !

فتخيل يا عزيزي الكاتب، والمصور، والشاعر، والحرفي، والقاص، والنحار، والأديب، والمهندس، والمؤرخ، والمنتج.. نفسك ما بين السطور الأخيرة!

أترمي عقلك بلسان غيرك؛ أم وجودك وحضورك بمرض حيرتك إلى الآز؛ باسم أهل المشورة والخبرة والسبق؟ فكيف إذا كان جل محيطك من ضمن أهل العدوى والأستذة والشللية والتصفيق والتطبيل الصوتي واللفظي؟

كلمة الختام:

— أغلب دور النشر الراقية تملك الطاقات الاحتراافية بالمراجعة اللغوية والتنقيح والطبعه والتسيويق والتاريخ.. فأهل الرأيه يعرفون عوالم الدرایة..

— قيمة العطاء بحياتك أولى بزيادة الأجر، لا بيد وصيك الذي يعتصر ثلك بعد مماتك بعد طول العمر..
كما يضع لك ثلاثة سبل ماء على قارعة الطريق ونحوها بأخذ الخيرة..

— البعض منا — مع الأسف — يعبد غيره، بمعنى: لا يقتنع بكلامك؛ إلا إذا (سحبت عليه) وعلى اتصالاته، وامتهرت الانشغال حد (أم الدعسة)، والترفع، (وسوبت نفسك ما تعرفه بالتشبيه)، وصوته ما عرفته، ورقمه ما خزنته، واتصل علي بعدين أنا باجتماع، (وعد وأغلط بين أبواق النفحة والتبشيش بريش معلق بعریش) !

— لكل بداية نهاية.. فالعمر قصير ، والعطاء قليل.. والجسم سيرتعش ويترهل بالتجدد.. إلا عند القلوب الحية واليقطة لحياتها الدنيوية والأخروية عبر الصدقة الجارية، والعلم المنتفع به، والولد الصالح الذي يدعوه بكل الأقطار والأمسار..